وقـــال فيـه الدكتور منصور فهمي: «صورة بسّامة لمعنى الإنسانية في كل ما يشمله ذلك اللفظ، من حب الخير والشوق الى التسامي، وكذلك صورة رائعة للثورة النيّرة، في كل ما تشمله من تبشير بالأحسن»... أما نقولا زيادة فيقول: «الاختبار والمعرفة والإيمان والأمانة، هي بضع نواح من هذا الذي نسميه: روح السكاكيني»...

وعزة دروزه قال: «كانت مجالسته فيّاضة بالأدب الوطني والروح الوطنية، وظل هذا ديدنه حتى بعد أن اضطرته ظروفه الى العمل في معارف الحكومة. فلم يمنعه مركزه الرسمي، من إظهار ذلك في كل مناسبة. وقد أدى تحرره إلى خلاف مع دائرته، فلم ينكص على عقبيه فيه، وترك العمل الرسمي في سبيله...».

وعارف العارف شهد: «انه رجل إنساني بكل ما في كلمة الإنسانية من معنى. كبير القلب والعقل، قوي البنية، شجاع، ثائر على التقاليد، على الحكم العثماني، على الاكليروس اليوناني، على وعد بلفور. وقصارى القول، على كل ما يخالف عقله وضميره ووطنه وأدبه وفكره...».

وغير هذه اللّمح، كثير. وقد رثاه، من بين الشعراء، الرصافي وأبو سلمى وغيرهما... كل هذا، إن دلنا على شيء، فعلى علو مقام هذا الإنسان الأديب والمربّي والمناضل. وما نهايته المريرة، في أرض الكنانة، إلا صورة مأساوية، للواقع العربي إبّان غيابه، بعد خمس سنوات في النكبة.

ومن طريف أقواله: «لو ملأ اليهود فلسطين، ولو انهزم الناس أجمعون، لبقيت وطنياً وحدي...».

كانت شخصيته متعددة الإمكانات والمواهب. وكان ألطف ما فيها ذلك الظرف الذي فطر عليه بعض أبناء جيله. وبخاصة تلك المجالس الأدبية، والنضالية في الواقع، التي كان يعقدها في مقهى بلدي في باب الخليل بالقدس أسماه «قهوة الصعاليك». (والصعلكة أو الصعلوك، منذ أيام الجاهلية، كانت تعني التمرّد على قوانين القبيلة والفروسية والشعر. ولم تكن تؤدي المعنى المتداول هذه الأيام. أي المسكنة والتشرد) ومن طرائف تلك الندوات، أن المناضل العربي، علي ناصر الدين، حين نفته السلطات الفرنسية من لبنان، ذهب الى القدس، وبات واحداً من جلاّس مقهى الصعاليك. وحين سمحت له السلطات الفرنسية بالعودة، كتب السكاكيني وبعض مريديه من الصعاليك «فرماناً» يجيز لعلي ناصر الدين أن يمثلهم في لبنان. وقد نشرت جريدة فلسطين ذلك «الفرمان» للدعاية.

وما أن وصل صاحبنا إلى بيروت حتى وجد بإنتظاره «هناك» أمراً جديداً يقضي بنفيه إلى جزيرة ارواد، بدعوى انتمائه إلى حزب الصعاليك. وعبثاً، حاول إفهام تلك السلطات ان الموضوع لا يعدو الدعابة غير أنها لم تفهم. وذهب صاحبنا منفياً إلى ارواد بنكتة «صعلوكية»...

وكما هو ظاهر، فان تلك «النكات» كانت ذات مدلول وطني، أو مدلول له علاقة بموضوعة الوطن.

ومن هذه الدعابات أيضاً، على سبيل المثال، أنه دعي إلى وليمة عشاء، عند المندوب السامي فرفض الدعوة، وأرسل بطاقة على غاية من السخرية والظرف، نذكر منها: «وأما محسوبكم، فصعلوك يكفيه من الدنيا أن يعمل فيأكل مع أهل بيته ما تيسّر...».

ومنها أيضاً، تركه العمل الحكومي في حقل التعليم، مدة سبع سنوات، احتجاجاً على إرسال مندوب سامٍ يهودي الأصل. ولم يعد إلى العمل. إلا بعد مغادرة هذا المندوب البلاد واستبداله بغيره... كذلك رفضه التعامل مع الإذاعة الرسمية، لأنه سمع مذيعاً صهيونياً يقول: «هنا أرض-اسرائيل». وقد ظل مقاطعاً لها، حتى منعت الحكومة المذيعين اليهود من استعمال هذه الصيغة.

وكتاب خليل السكاكيني الذي بين أيدينا اليوم، حافل بكل مثير وجميل، إن على صعيد شخصية الرجل الفنية أم على صعيد مواقفه الوطنية. وفيه ما يشبه المسح للحركة الوطنية والاجتماعية فيما قبل إنشاء دولة اسرائيل؛ وهو ما تجده واضحاً خلال الكتاب. وعمليه استعراض ما حفل به هذا الكتاب ستكون شاقة وطويلة ولا ريب.